
المصمودي
الجزيرة
العجيبة
الشركة التونسية للتوزيع

الجزيرة العجيبة

تأليف: عامر الصمودي

الشركة التونسية للتوزيع

كَانَ أَبِي مِنْ أَعْيَانِ الْبَصْرَةِ وَتُجَّارِهَا . وَقَدْ مَاتَ، وَأَنَـا طِفْلٌ صَغِيرٌ، وَتَرَكَ لِي مَـالاً وَافِراً . فَلَمَّا بَلَغْتُ مَبْلَغَ الرِّجَالِ، أَخَذْتُ أَتَصَرَّفُ فِيمَا خَلَّفَهُ لِي وَالِدِي مِنْ مَـالٍ ، وَصِرْتُ أُبَدِّدُهُ بِلاَ حِسَابٍ مَعَ الْخِلاَّنِ وَالأَصْحَابِ ، دُونَ أَنْ أُفَكِّرَ فِي الْعَـوَاقِبِ .

وَلَمْ أَزَلْ ــ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ــ مُدَّةً طَوِيلَةً حَتَّى أَفَقْتُ مِن غَفْلَتِي ، وَثُبْتُ إِلَى رُشْدِي . وَلَكِنْ هَيْهَاتَ ! .. فَقَدْ نَفِدَ مَالِي ، وَتَغَيَّرَتْ حَالِي ، وَتَذَكَّرْتُ الْحِكْمَةَ الْقَائِلَةَ : « الْقَبْرُ خَيْـرٌ مِنَ الْفَقْـرِ » .

ثُمَّ إِنِّي جَمَعْتُ ــ يَوْماً ــ مَا تَبَقَّى لِي مِنْ ثِيَابٍ وَمَتَاعٍ ، فَبِعْتُهَا وَاشْتَرَيْتُ بَضَائِعَ مُخْتَلِفَةً ، وَمَا أَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ مِن زَادٍ . وَقَرَّرْتُ السَّفَرَ عَنْ طَرِيقِ الْبَحْرِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ التُّجَّارِ إِلَى جُزُرِ «النيكُوبَـار» فِي الْمُحِيطِ الْهِنْدِي .

© الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج ــ تونس-1984



سِرْنَا فِي الْبَحْرِ مُدَّةَ أَيَّامٍ وَلَيَالٍ بَيْنَ مَاءٍ وَسَمَاءٍ. وَكَانَ الْمَرْكَبُ يَمْخُرُ عُبَابَ الْبَحْرِ، فَيَشُقُّ حَيْزُومُهُ اللُّجَّةَ الزَّرْقَاءَ، تَارِكاً عَلَى جَانِبَيْهِ زَبَدًا مِنْ لُجَيْنٍ. وَهْوَ يَتَهَادَى كُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ لَيِّنَةً، خَفِيفَةً، وَيَتَقَلَّبُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، إِذَا كَانَتْ قَوِيَّةً، عَاتِيَةً.

وَقَدْ مَرَرْنَا بِجَزِيرَةٍ بَعْدَ جَزِيرَةٍ. وَانْتَقَلْنَا مِنْ بَحْرٍ إِلَى بَحْرٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ جُزُرِ «النِّيكُوبار» فَأَرْسَى بِنَا الْمَرْكَبُ، وَرَمَى الرُّبَّانُ الْمِرْسَاةَ، وَمَدَّ «السَّقَالَةَ» فَنَزَلَ جَمِيعُ مَنْ فِي الْمَرْكَبِ، وَأَوْقَدُوا النَّارَ لِإِحْضَارِ الطَّعَامِ، فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْبَخُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْسِلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَفَرَّجُ. وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ الْمُتَفَرِّجِينَ.

وَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، إِذَا بِالرُّبَّانِ يَصْعَدُ عَلَى شُرُفَاتِ الْمَرْكَبِ، وَيَصِيحُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «أَسْرِعُوا يَا سَادَةُ؛ وَبَادِرُوا بِالصُّعُودِ إِلَى الْمَرْكَبِ، وَانْجُوا بِأَرْوَاحِكُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا لَيْسَتْ كَمَا تَظُنُّونَ، وَإِنَّمَا هِيَ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ رَسَبَتْ فِي الْبَحْرِ، وَتَكَدَّسَتْ عَلَيْهَا الرِّمَالُ، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا جَزِيرَةٌ، وَقَدْ نَبَتَتْ عَلَى سَطْحِهَا الْحَشَائِشُ وَالْأَشْجَارُ. فَلَمَّا أَوْقَدْتُمْ عَلَيْهَا النَّارَ،

أَحَسَّتْ بِالْحَرَارَةِ، فَتَحَرَّكَتْ، وَهِيَ تُوشِكُ أَنْ تَغُوصَ بِكُمْ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ، فَتَغْرَقُوا جَمِيعاً، فَاطْلُبُوا النَّجَاةَ لِأَنْفُسِكُمْ».

فَلَمَّا سَمِعَ الرُّكَّابُ كَلَامَ الرُّبَّانِ بَادَرُوا بِالصُّعُودِ إِلَى الْمَرْكَبِ، وَتَرَكُوا ثِيَابَهُمْ وَمَتَاعَهُمْ: فَمِنْهُمْ مَنْ لَحِقَ بِالْمَرْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَلْحَقْ. وَقَدْ تَحَرَّكَتْ فِعْلاً تِلْكَ الْجَزِيرَةُ، وَنَزَلَتْ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهَا بِجَمِيعِ مَنْ كَانَ فِيهَا.

وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ تَخَلَّفَ فِي الْجَزِيرَةِ، فَغَرِقْتُ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ غَرِقَ. وَلَكِنَّ اللهَ أَنْقَذَنِي؛ فَقَدْ وَجَدْتُ قَصْعَةً كَبِيرَةً مِنَ الْخَشَبِ كَانَ رِفَاقِي يَغْسِلُونَ فِيهَا ثِيَابَهُمْ، فَرَكِبْتُهَا مَدْفُوعاً بِحُبِّ الْبَقَاءِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْهَلَاكِ.

إِتَّخَذْتُ مِنْ رِجْلَيَّ مِجْذَافَيْنِ، فَإِذَا الْقَصْعَةُ تَتَقَدَّمُ، وَتَشُقُّ عُبَابَ الْبَحْرِ. أَمَّا الرُّبَّانُ فَقَدْ نَشَرَ شِرَاعَ الْمَرْكَبِ، وَسَافَرَ بِمَنِ الْتَحَقَ بِهِ. وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَنْ غَرِقَ مِنْهُمْ، وَلَا إِلَى مَنْ كَانَ يَسْتَغِيثُ.

وَمَازِلْتُ أَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ الْمَرْكَبِ حَتَّى اخْتَفَى عَنْ عَيْنَيَّ. وَجَنَّ الظَّلَامُ وَأَنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ. وَقَدْ حَمَلَتْنِي



الأَمْوَاجُ إلَى أَنْ رَسَتْ بِي قَصْعَتِي عَلَى شَاطِئِ جَزِيرَةِ «سُوكُوتُورَا» فِي بَحْرِ الْهِنْدِ. وَهِيَ جَزِيرَةٌ عَالِيَةٌ، فِيهَا أَشْجَارٌ مُطِلَّةٌ عَلَى الْبَحْرِ.

مَسَكْتُ غُصْناً مِنْ شَجَرَةٍ وَتَعَلَّقْتُ بِهِ، وَأَلْقَيْتُ بِنَفْسِي عَلَى أَرْضِ الْجَزِيرَةِ. وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِتَعَبٍ شَدِيدٍ، وَأَيْقَنْتُ أَنِّي هَالِكٌ لاَ مَحَالَةَ.

بَقِيتُ هكَذَا إلَى الْيَوْمِ الثَّانِي، وَأَنَا بَيْنَ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ، يَعْتَرِينِي الْيَأْسُ تَارَةً، وَيُعَاوِدُنِي الأَمَلُ تَارَةً أُخْرَى، فَأَشْعُرُ بِقُوَّةٍ غَرِيبَةٍ لاَ أَعْرِفُ مَصْدَرَهَا رَغْمَ مَا انْتَابَنِي مِنْ ضُعْفٍ وَهُزَالٍ. وَمَا كُنْتُ أُحِسُّ بِهِ مِنْ جُوعٍ، وَعَطَشٍ، وَبَرْدٍ شَدِيدٍ جَمَّدَ الدَّمَ فِي عُرُوقِي وَيَبَّسَ أَطْرَافِي.

طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَوَجَدْتُ رِجْلَيَّ قَدْ وَرِمَتَا. وَلكِنَّ حَرَارَةَ الشَّمْسِ جَعَلَتْنِي أَشْعُرُ بِالدِّفْءِ. فَأَخَذْتُ أَزْحَفُ تَارَةً، وَأَحْبُو عَلَى رُكْبَتَيَّ تَارَةً أُخْرَى حَتَّى رُدَّتْ إِلَيَّ قُوَايَ، وَقَوِيتُ عَلَى الْحَرَكَةِ، وَعَادَ الأَمَلُ إلَى نَفْسِي.

وَكَانَ فِي الْجَزِيرَةِ عُيُونُ مَاءٍ عَذْبٍ، وَغَابَاتُ نَخِيلٍ، وَفَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ، فَصِرْتُ آكُلُ وَأَشْرَبُ، وَأَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ

إلَى مَكَانٍ، وَأُمَتِّعُ النَّفْسَ بِالْمَنَاظِرِ الطَّبِيعِيَّةِ الْجَمِيلَةِ.

وَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إذَا بِشَبَحٍ يَلُوحُ عَنْ بُعْدٍ، ظَنَنْتُهُ - فِي بَادِئِ الأَمْرِ - وَحْشاً أَوْ دَابَّةً مِنْ دَوَابِّ الْبَحْرِ فَاتَّجَهْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فَرَسٌ عَظِيمُ الْجُثَّةِ، مَرْبُوطٌ عَلَى الشَّاطِئِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَصَرَخَ فِي وَجْهِي صَرْخَةً ارْتَجَّتْ لَهَا أَرْجَاءُ الْغَابَةِ، فَشَعُرْتُ بِالْخَوْفِ، وَأَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ أَدْرَاجِي. وَلكِنَّ رَجُلاً غَرِيبَ الْهَيْئَةِ - لاَ أَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى - صَاحَ بِي قَائِلاً: «مَنْ أَنْتَ؟ وَمَا سَبَبُ مَجِيئِكَ إلَى هذَا الْمَكَانِ؟»..

فَقُلْتُ لَهُ:

«يَا سَيِّدِي! أَنَا رَجُلٌ غَرِيبٌ، كُنْتُ فِي مَرْكَبٍ، فَغَرِقْتُ أَنَا وَبَعْضُ مَنْ كَانَ فِيهِ. وَسَاعَدَنِي الْحَظُّ فَوَجَدْتُ قَصْعَةً كَبِيرَةً رَكِبْتُهَا وَاتَّخَذْتُ مِنْهَا زَوْرَقاً إلَى أَنْ رَمَتْنِي الأَمْوَاجُ فِي هذِهِ الْجَزِيرَةِ كَمَا تَرَى».

وَمَا إنْ سَمِعَ الرَّجُلُ كَلاَمِي حَتَّى أَمْسَكَنِي مِنْ يَدِي وَقَالَ: «هَيَّا مَعِي».

سِرْتُ وَرَاءَهُ، وَفَرَائِصِي تَرْتَعِشُ مِنَ الْخَوْفِ، فَنَزَلَ بِي

فِي دِهْلِيزٍ، وَدَخَلَ إِلَى قَاعَــةٍ فَسِيحَةٍ، وَأَتَانِي بِطَعَامٍ. وَكُنْتُ جَائِعاً، فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ، وَشَعُرْتُ بِشَيْءٍ مِنَ الطُّمأنِينَــةِ.

وَبَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الدِّهْلِيزِ قُلْتُ لِلرَّجُلِ:

«بِاللَّــهِ عَلَيْكَ، يَا سَيِّدِي، لاَ تُؤَاخِذْنِي إِنْ أَنَا أَحْرَجْتُكَ. لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِحَقِيقَةِ أَمْرِي، فَأَخْبِرْنِي أَنْتَ بِدَوْرِكَ عَنْ هَوِيَّتِكَ، وَعَنْ سَبَبِ وُجُودِكَ فِي هَذَا الدِّهْلِيزِ؟».

أَطْرَقَ الرَّجُلُ بُرْهَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ:

«يَظْهَرُ أَنَّكَ صَادِقٌ فِي مَا تَقُولُ. وَسَأُخْبِرُكَ بِالْحَقِيقَةِ كَمَا أَخْبَرْتَنِي: إِنَّنَا جَمَاعَةٌ مُتَفَرِّقُونَ عَلَى سَوَاحِلِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ. وَفِي تَصَرُّفِنَا خُيُولُ الأَمِيرِ. وَفِي كُلِّ شَهْرٍ ـ عِنْدَ اكْتِمَالِ الْقَمَرِ ـ نَأْتِي بِالْجِيَادِ وَنَرْبُطُهَا عَلَى شَاطِئِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ، وَنَخْتَفِي فِي الدِّهْلِيزِ حَتَّى لاَ يَرَانَا أَحَــدٌ، فَيَخْرُجُ حِصَانٌ مِنَ الْبَحْرِ عِنْدَمَا يَشُمُّ رَائِحَةَ الْخَيْلِ، وَيُحَاوِلُ أَخْذَهَا مَعَهُ، فَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتْبَعَهُ لِشِدَّةِ وَثَاقِهَــا».

فَقُلْتُ لِلــرَّجُــلِ:

«وَلِمَ كُلُّ هَذَا، وَدَوَابُّ الْبَحْرِ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ خُيُولِ



الْبَرِّ ؟!. إِنَّهُ لَأَمْرٌ عَجِيبٌ !!».

قَالَ الرَّجُلُ :

«إِنَّهَا تَجْرِبَةٌ نَقُومُ بِهَا مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ بِأَمْرٍ مِنَ الْأَمِيرِ؛ فَهَذِهِ الْفَرَسُ الَّتِي أَمَامَكَ وَلَدَتْ مُهْرًا مِنْ حِصَانِ الْبَحْرِ لَا يُوجَدُ لَهُ شَبِيهٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَكَانَتْ نَتِيجَةَ تَلَاقُحِ جِنْسَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ تَمَامًا عَلَى أَنَّهَا تَجْرِبَةٌ تَبْدُو غَرِيبَةً فِي حَدِّ ذَاتِهَا. وَلَكِنَّهَا تَجْرِبَةٌ نَاجِحَةٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

تَظَاهَرْتُ بِمُوَافَقَةِ الرَّجُلِ عَلَى مَا ادَّعَى فَإِذَا هُوَ يَقْتَرِبُ مِنِّي، وَيَهْمِسُ لِي قَائِلًا :

«أَنْتَ رَجُلٌ طَيِّبٌ. وَمِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنِّي وَجَدْتُكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ. وَلَوْلَا اجْتِمَاعُكَ بِنَا لَكُنْتَ تَمُوتُ حُزْنًا وَوَحْشَةً، وَلَا يَدْرِي بِكَ أَحَدٌ».

وَعَلَى كُلٍّ، فَإِنِّي سَآخُذُكَ مَعِي إِلَى الْأَمِيرِ، وَأُطْلِعُكَ عَلَى أَحْسَنِ مَا يُوجَدُ فِي إِمَارَتِنَا هَذِهِ.

جَلَسَ الرَّجُلُ قَلِيلًا، وَإِذَا بِأَصْحَابِهِ قَدْ جَاؤُوا، وَمَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَرَسٌ يَقُودُهَا. وَوَجَدُونِي عِنْدَهُ فَسَأَلُونِي عَنْ حَالِي، فَأَخْبَرْتُهُمْ بِمَا جَرَى لِي.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ أَحْضَرُوا الطَّعَامَ، وَدَعَوْنِي إِلَى الْأَكْلِ مَعَهُمْ فَشَارَكْتُهُمْ. ثُمَّ قَامُوا وَرَكِبُوا الْخُيُولَ، وَأَخَذُونِي مَعَهُمْ، وَأَرْكَبُونِي عَلَى ظَهْرِ فَرَسٍ، وَقَصَدْنَا الْأَمِيرَ.

وَلَمَّا وَصَلْنَا دَخَلُوا عَلَى الْأَمِيرِ، وَأَعْلَمُوهُ بِقِصَّتِي، فَطَلَبَنِي. وَعِنْدَمَا دَخَلْتُ لِمُقَابَلَتِهِ رَحَّبَ بِي، وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا حَصَلَ لِي، وَبِمَا قَاسَيْتُهُ؛ فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ :

«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَلَامَتِكَ، يَا وَلَدِي. وَلَوْلَا طُولُ عُمُرِكَ مَا كُنْتَ تَنْجُو مِنْ هَذِهِ الشَّدَائِدِ».

ثُمَّ إِنَّهُ لَاطَفَنِي، وَأَكْرَمَنِي. وَجَعَلَنِي حَارِسًا عَلَى الْمِينَاءِ، وَمُرَاقِبًا لِكُلِّ مَرْكَبٍ يَرْسُو فِيهِ.

قُمْتُ بِوَظِيفَتِي أَحْسَنَ قِيَامٍ. وَكُنْتُ كُلَّمَا أَلْتَقِي بِالتُّجَّارِ وَالْمُسَافِرِينَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ مَدِينَةِ بَغْدَادَ، فَلَا أَجِدُ مَنْ يَعْرِفُهَا، فَاحْتَرْتُ فِي أَمْرِي، وَسَئِمْتُ طُولَ الْغُرْبَةِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَمَا كُنْتُ أَتَنَزَّهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، إِذَا بِسَفِينَةٍ مُقْبِلَةٍ، وَفِيهَا أُنَاسٌ كَثِيرُونَ. فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى الْمِينَاءِ طَوَى الرُّبَّانُ شِرَاعَهَا وَأَرْسَاهَا، وَمَدَّ السَّقَالَةَ، فَأَخْرَجَ



الْبَحَّارَةُ جَمِيعَ مَا كَانَ فِيهَا وَأَنْزَلُوهُ إِلَى الْبَرِّ.

عِنْدَ ذَلِكَ اقْتَرَبْتُ مِنَ الرُّبَّانِ وَسَأَلْتُهُ :

« هَلْ بَقِيَ فِي الْمَرْكَبِ شَيْءٌ ؟ » قال :

« نَعَمْ، مَعِي بَضَائِعُ غَرِقَ صَاحِبُهَا فِي الْبَحْرِ. وَقَدِ اتَّفَقْتُ مَعَ رِفَاقِي عَلَى أَنْ نَبِيعَهَا وَنُسَلِّمَ ثَمَنَهَا إِلَى أَهْلِهِ فِي بَغْدَادَ حَيْثُ يَسْكُنُونَ ».

فَقُلْتُ لَهُ :

« مَا اسْمُ صَاحِبِ الْبَضَائِعِ ؟ »

ـ اسْمُهُ السِّنْدَبَادُ الْبَحْرِيُّ ، وَقَدْ غَرِقَ فِي الْبَحْرِ.

ـ أَنَا هُوَ السِّنْدَبَادُ الْبَحْرِيُّ. وَقَدْ نَزَلْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ فِي الْجَزِيرَةِ مَعَ مَنْ نَزَلَ مِنَ التُّجَّارِ وَالْمُسَافِرِينَ. وَهَذِهِ الْبَضَائِعُ لِي.

ـ أَوْضِحْ كَلاَمَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ. وَهَاتِ الدَّلِيلَ عَلَى صِدْقِ قَوْلِكَ.

ـ أَتَذْكُرُ ، يَا سَيِّدِي ، مَا قُلْتَهُ لَنَا عِنْدَمَا تَحَرَّكَتِ الْجَزِيرَةُ ؟ وَكَيْفَ تَبَيَّنَ أَنَّهَا سَمَكَةٌ عَظِيمَةٌ نَبَتَتْ عَلَيْهَا



الأشْجَارُ. وَقَدِ الْتَحَقَ بِالْمَرْكَبِ بَعْضُ الْمُسَافِرِينَ، وَغَرِقَ الْبَاقُونَ، وَكُنْتُ أَنَا مِنْهُمْ.

ـ وَلَكِنْ كَيْفَ نَجَوْتَ مِنَ الْمَوْتِ؟!

ـ إِنَّ اللهَ نَجَّانِي مِنَ الْغَرَقِ بِفَضْلِ قَصْعَةٍ كَبِيرَةٍ رَكِبْتُهَا، وَاتَّخَذْتُ مِنْهَا زَوْرَقاً أَوْصَلَنِي إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ؛ فَنَزَلْتُ فِيهَا، فَأَخَذَنِي الْحُرَّاسُ مَعَهُمْ إِلَى أَنْ أَتَوْا بِي إِلَى هُنَا. وَأَدْخَلُونِي عَلَى حَاكِمِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِقِصَّتِي؛ فَأَنْعَمَ عَلَيَّ وَجَعَلَنِي حَارِساً عَلَى الْمِينَاءِ، فَصِرْتُ أَنْتَفِعُ بِخِدْمَتِهِ. وَأَصْبَحَ لِي عِنْدَهُ حَظٌّ عَظِيمٌ.

ـ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. تَغَيَّرَ النَّاسُ وَكَثُرَ الطَّمَعُ وَالاحْتِيَالُ!!

ـ أُقْسِمُ لَكَ بِشَرَفِي أَنَّ مَا قُلْتُهُ لَكَ هُوَ الْحَقِيقَةُ بِعَيْنِهَا. وَاللهُ شَاهِدٌ عَلَى مَا أَقُولُ.

ـ مَعَ احْتِرَامِي لَكَ إِنِّي أَشُكُّ فِيمَا تَدَّعِي؛ لِأَنَّنَا رَأَيْنَا صَاحِبَ الْبِضَاعَةِ قَدْ غَرِقَ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الرُّكَّابِ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

عِنْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ بَعْضُ التُّجَّارِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي فِي

الْمَرْكَبِ، وَتَأَمَّلُوا مِنِّي مَلِيًّا ثُمَّ قَالُوا، وَعَلَى وُجُوهِهِمْ عَلَائِمُ الاسْتِغْرَابِ وَالدَّهْشَةِ :

«وَاللهِ مَا كُنَّا نُصَدِّقُ أَنَّكَ نَجَوْتَ مِنَ الْغَرَقِ. وَلَكِنَّ اللهَ رَزَقَكَ عُمُرًا جَدِيدًا».

وَلَمَّا سَمِعَ الرُّبَّانُ ذَلِكَ تَبَيَّنَ لَهُ صِدْقُ قَوْلِي، فَاعْتَذَرَ لِمَا صَدَرَ مِنْهُ. وَهَنَّأَنِي بِالسَّلَامَةِ. وَرَدَّ إِلَيَّ بِضَاعَتِي، فَوَجَدْتُ اسْمِي مَكْتُوبًا عَلَيْهَا، فَأَخْرَجْتُ مِنْهَا تُحْفَةً ثَمِينَةً قَدَّمْتُهَا إِلَى الْأَمِيرِ، بَعْدَ أَنْ أَعْلَمْتُهُ بِمَا حَدَثَ لِي مَعَ الرُّبَّانِ.

تَعَجَّبَ الْأَمِيرُ مِنْ ذَلِكَ، وَظَهَرَ لَهُ صِدْقُ قَوْلِي. وَبَعْدَ أَنْ هَنَّأَنِي بِالسَّلَامَةِ، أَكْرَمَ مَثْوَايَ، وَقَدَّمَ لِي عَطَايَا كَثِيرَةً.

وَلَمَّا عَزَمَ التُّجَّارُ عَلَى السَّفَرِ، شَحَنْتُ مَا كَانَ مَعِي مِنْ مَتَاعٍ وَتُحَفٍ فِي الْمَرْكَبِ، وَوَدَّعْتُ الْأَمِيرَ بَعْدَ أَنْ شَكَرْتُهُ عَلَى إِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ. وَسَافَرْتُ إِلَى بَلَدِي وَأَهْلِي.

طَابَتْ لَنَا الرِّيَاحُ، وَسَاعَدَتْنَا الْمَقَادِيرُ وَلَمْ نَزَلْ مُبْحِرِينَ لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَنَزَلْنَا فِيهَا، وَأَقَمْنَا بِهَا مُدَّةً قَصِيرَةً. وَمِنْهَا تَوَجَّهْتُ إِلَى بَغْدَادَ

مَسْقِطِ رَأْسِي وَمَوْطِنِي الْحَبِيبِ.

وَمَا إِنْ وَصَلْتُ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيَّ الْأَهْلُ وَالْأَصْحَابُ يُبَارِكُونَ قُدُومِي، وَيُهَنِّئُونَنِي بِسَلَامَةِ الْعَوْدَةِ.

ثُمَّ إِنِّي اشْتَرَيْتُ دِيَارًا وَعَقَارًا تَفُوقُ مَا كَانَ عِنْدِي بِفَضْلِ مَا رَبِحْتُهُ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ. وَقَدْ نَسِيتُ كُلَّ مَا قَاسَيْتُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْغُرْبَةِ، وَأَهْوَالِ السَّفَرِ، وَاشْتَغَلْتُ بِالتِّجَارَةِ، وَنَعِمْتُ بِفَرْحَةِ الْحَيَاةِ.

طبع بمصنع الكتاب
للشركة التونسية للتوزيع
5، شارع قرطاج ـ تونس
C 30/40/84
ديسمبر 1984

سحب من هذا الكتاب 5.000 نسخة

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج — تونس

السعر : 0،350